

اللغة العربية والبنائية

بقلم الدكتور رشيد طحان

الدراسات اللغوية : لم يبدأ أهل هذه العصور الحديثة في العالم العربي نهضتهم الى العلوم الإنسانية ولم يتناولوها بما تناولوا غيرها من تجديد يبحث الحياة فيها ولم يعالجوها على ضوء مبادئ العلوم الحديثة ليعيدوا عنها ما اشتهرت به من قصور وكانت اكثر الدراسات التي صفت على أنها دراسات حديثة هي في الواقع دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات والنظريات والآراء دون غرلة وتمحيص حتى ان من يطالعها لا يشعر بلغة أو هذه نابعة عن حرارة في رأي واضعها بل على عكس ذلك يحس وكأنها فقدت عنصر التجديد فيقف الباحث حينئذ محاولاً أن يتصيد من المعلومات التي وردت فيها الحجج الدامغة فيجدها ملوثة بالتعليقات المرفقة وبالإلغاز والتهميش المملين فيعرض عنها ويحاول التزود بالعلم الحديث لعله يبلغ غايته وهدفه . إن فائدة كتب اللغة العربية التقليدية محدودة لأن آراء الفلاسفة وعلماء الكلام والباطن تشوبها ولأنه قد مضى على وضعها زمن طويل "حل" فيها السقم والعقم فتقدم العلوم عامة والعلوم الإنسانية خاصة اتاح للباحثين فرصة اتباع خطوط علمية لوضع كتب جديدة في اللغة .

استثمر العلم المعاصر البنائية (structuralisme) مثلاً في مختلف الحقول حتى أنها أدخلت في العلوم الإنسانية حيث أحرزت نتائج ملموسة وقد آن للدراسات اللغوية العربية أن تعتمد البنائية كمعصر تجديد سيكتب له البقاء والنجاح المستمر .

اعتبرت البنائية اللغة كنظام (systeme) يخضع لقوانين علمية صارمة هي :
أ - الشمول : يتألف اللسان من مجموعة من الظواهر اللسانية البحتة تدخل مجتمعة في نظام متكامل يؤدي وظيفة معينة .

ب - الانسجام : لا تناقض مختلف الأجزاء التي تؤلف التنظيم بل تعاون مجتمعة لتشكل وحدة متسقة فالأجزاء في اللغة مثلاً هي الأصوات

والمفردات التي تنسجم في تنظيم تشافي وذاتي وكل استثناء عن أصوات معينة أو نشوء مفردات معينة يؤدي إلى خلل مؤقت يعقبه توازن داخلي يؤثر على التنظيم ويحدث فيه توازنًا جديدًا ويبيح له ادخال عناصر جديدة أو لنظم عناصر معينة ويتم هذه التغييرات دون أن تنفي على بنيانية اللغة وهيكلها وجودها.

ج - الاقتصاد : يسمى التنظيم إلى عدم حذر الجديد البشرية فاللغة تعبر مثلاً باقتضاب واختصار عما يجدر في خاطر المستمعين منها وقد يسيطر على هؤلاء المستمعين مبدأ بذل أدنى جهد واختصار على أكبر منفعة وهذا ما يسمى الاقتصاد الآلي.

٥

اللغة العربية والبنيانية : سوف نستعرض اللغة العربية وننظر في هيكل تنظيمها لنلاحظ نوعيتها محاولين اكتشاف بنية على ضوء النظريات البنيانية الحديثة :
١ - لا نريد دراسة اللغة كنظام قائم في أفكار المستمعين به وذاكرتهم بل كنظام قائم بحد ذاته أو كبنية صرف .

٢ - يضم كل تنظيم تحولات داخلية تنصرف بشؤونه وتتنوع بحالته الخيوي فالجمللة وهي بهذا الاختصاص صورة مصغرة عن التنظيم الكبير تتألف من عناصر يؤثر كل منها في الآخر وتتعاون تعاوناً وثيقاً لتؤدي مجتمعة المعنى المقصود .
٣ - يتألف كل تنظيم من مواد خام تسير متضافرة في إقامة صرحه فالأصوات تولد التنيات (phonèmes) التي تجتمع لتؤلف المفردات ثم تنضم المفردات إلى بعضها البعض في شقاقات الجمللة أو الجمل وتنظم الجمل أخيراً في نسق معين لتعبر عن الكلام المتبد.

٤ - وبما أن الدراسات البنيانية تنوحي دراسة اللغة كنظيم فهي تستطيع إما الانتقال من الجزئي إلى الكللي إما تحليل الكلليات إلى جزئيات وقد آثرنا في دراستنا هذه الانتقال من الجزئي إلى الكللي ولهذا سوف نخصص مقالنا هذا لبحث الأصوات والمفردات وكيفية انسجامها في مفردات اللغة العربية على أن نهتم بالمواضيع الأخرى المنبثقة من النظريات البنيانية في أبحاث لاحقة .

٥

علم الصوت والفينولوجيا : يتبين للباحث من استعراضه لوحات اللغة العربية الصوتية أنه لا يزيد عددها عن الثلاثين وهي تولد التنيات والمفردات التي تعالج على ضوء علمي الصوت (Phonétique) والفينولوجيا (Phonologie) . يهتم هذان العلمان بالدراسات الصوتية : يكشف علم الصوت

وقائع الاحداث الصوتية ويعتبر الآلة المصنوعة ومخارج الحروف وبكيفية تلفظها وانتقالها الى السامع وتقوم الفونولوجيا بدراسة الدور الذي تلعبه الأصوات لدى قيامها بأعمالها وظيفية (Fonctionnel) تؤدي الى اختلافات في المعاني او المسيات (على صعيد الفونولوجيا لا فرق بين كلمة واحدة ولكن تتفرق قائم بين نقد ونقض ...) وقد تنوينا الفونولوجيا الى تحديد عدد لغات لغات واختلافات في لغة معينة وإلى ضبط علاقتها وبيئاتها كما أنها تعتبر بنى الكلمات وقائمة بذاتها وليست بحاجة في حال تحليلها الى عناصر غريبة عن طبيعتها الصوتية : الكلمة هي أصوات تجتمع في شكل معين لتؤدي معنى مقصوداً . ثم تنظم الفونولوجيا سنن وقع اللغة (Synchronie) ويتبع عن خط عبر التاريخ (Diachronie) وتتعلق بدراسة الأصوات كنظائير ذات دلالة موضوعية وقد يخل هذا النوع من الدراسات مشكلات لغة في عصرنا الحاضر .

انظرييات التوزيعية واللغة العربية : تخضع أصوات اللغة العربية لنظام توزيعي معين قد يسلط عليه بعض الأفراد الكاشفة بجير بول (Algèbre de Boole) وقد يحدده ليجعل منه تنظيماً مغلقاً مبدأ التناظر الصوتي (Les incommensurables phonétiques) ومبدأ التوزيع والاستعمال (l'usage) ويتم توزيع الأصوات على شكل وحدات غير مصونة تدخل عليها المصروفات التصورية أو المصدرة لتبعث فيها الحياة وكانت احياناً كل المسامحة تكذب بالخبر الأزرق والمصروفات بالخبر الأحمر وكان لون الخبر يرمز إما الى هيكل لا حياة فيه إما الى لون الدم والحياة ويتألف الهيكل عادة من ثلاثة حروف صامتة ترتبط به أو بتجميع حروفه فكرة عامة حسية قد تعمل بها عوامل التجريد والتعديد والتعظيم والتخصيص والانتقال بالمعنى (Mutation) ويتخذ الهيكل الأصلي جسداً وأشكالاً وبيئاتاً متعددة ورغم تنوع معناها إلى التكرار الأساسية المشتركة وقد يتطور معنى بعض هذه التجميع متخذاً له معنى جديداً متبديلاً قد يجعلها واحة الارتباط بالألفاظ المتحددة من أصل واحد وقد يحافظ الهيكل على معناه العام مثلاً في : ساس - سياسي : حكم - حاكم : عقل - عقل : كعب - مكتب : جمع - جامعة : نطق - منطق : حشف - حائف الخ ... وقد تتحقق التناهي الجديدة في مفردات تطلع للاستعمال ويكون ذلك اتباع قواعد معينة جامعة شاملة تصدر عن امكانيات فاعلة أو كامة في تنظيم الذي تخضع له اللغة العربية .

أهمية الأصول الثلاثة في اللغة العربية : إن هناك لغات معروفة تضع عددًا كبيرًا من مفردات ذات تألف من حرف صامت واحد تؤثر فيه التغيرات الصوتية (Tons) وتجعله ينتقل إلى مفاهيم مختلفة وتنطبق هذه الحالة على اللغات الهندية الصينية مثلاً أما اللغة العربية فهي قلما تنبع في ببنيتها طريقة الصوغ من حرف واحد وقد تلجأ إليه في حالات معينة ونستطيع أن نعالج المفردات العربية التي تتألف من صوت واحد من ناحيتها الحسية والمخفية على الشكل التالي : تتألف أصوات اللغة العربية الصامتة من ٢٩ حرفاً تدخل عليها الحركات الخفيفة والممدودة فيكون الحاصل :

٢٩ = ٦ (اي فتح وضم وكسر في حالتها الحركية الخفيفة والممدودة) = ١٧٤ . تنحصر في الواقع الكلمات التي تتألف من حرف واحد في بعض الأسماء (قم : قا . فـ . في : اسم الذات للذكور والإناث : ذا . ذو . ذي . تا . تو) . (تي . وفي بعض حروف العطف والاستنباط والجر والتسم والتداء والتدبة الخ ... وفي بعض الضائير المشتقة المرفوعة والمنسوبة والمجروزة وفي أمر اللين الشروق (أمر وق . وفي . وعي : قـ . في : عـ) وقد وعى المستعملون من التنظيم الصوتي العربي هذه الكلمات (mutiles phonétiques) التي تتألف من صوت واحد أو من مقطع واحد ويجعلها هذه المفردات تلحق بوحدة صوتية لكي تتألف من أكثر من صوت واحد أو اشبعوا الضعيف منها وهذا ما حدث مثلاً لأمر اللين الشروق (قـ . في . عـ - قـ . فـ : قـ : عـ) .

استمدت اللغة العربية وضع مفردات تتألف من حرفين صامتين تخاف اليهما الحركات الخفيفة والثقيلة ويتم ذلك نظرياً بالعملية الحسية التالية ٢٩ أو ٢٨ (بإسقاط الحمزة التي تتألف أحياناً في حركات المد) × ٢٧ = ٧٥٦ .

ولكن عملياً لا نجد في اللغة العربية إلا عشرات من الكلمات التي وردت في بعض كتب اللغة (أب : أم . أخ . أخت . حم . دم . يد . بن . بنت : اسم . شفة . رنة الخ ...) وقد اخفت بعض هذه التنايات احرف إضافية ثلث لفظها وأدخلتها في التركيب المورفولوجي (Morphologie) العربي السائد والشائع .

تتركز البنية العربية على أصول ثلاثية ولئن كانت هناك جنود ثنائية فهي لم تشكل سوى مرحلة تاريخية من مراحل تطور اللغة العربية فقد تم تحول بنية العربية إلى أصول ثلاثية بفعل تحولات داخلية بحتة (انظر آراء

اللاب فليش (Père Fleisch: la flexion interne) نذكر منها المد والتضعيف وزيادة حرف واحد على الحرفين الأصليين مما أدى إلى أصول بلغت حد الاكتناز (انظر رأي الاستاذ بيلا (Charles Pellat: l'étoffement) وتكون معظم الكلمات العربية منطقتة من مرتكر بنياني أساسي هو الأصل الثلاثي وينحدر ذلك نظرياً على الشكل التالي :

٢٨÷٢٧÷٢٦ (ياهمان تنوع حركات عين الأصول الثلاثية) = ١٩٦٥٦
وقد نجد من فعالية هذا العدد ثنائيات من الأصول مبدأ التناظر الصوتي والاستعمال وقد تكتفي اللغة بعدد صغير من الجذور (٣٠٠٠ تقريباً) يتم بموجبها وضع معظم الكلمات العربية. تتولد الكلمات من الأصول الثلاثية في احدائيتين ثابتتين (abscisse et coordonnée) هما احدائية مزيادات الأصول الثلاثية واحداً مشتقات الأصل ومزياداته اي خط الصفات والأسماء وكما تقاطعت الخطوط المنبثقة عن الاحداثيتين تولدت مفردة قد تدخل الى حيز الاستعمال المباشر أو قد تبقى في حيز الكمون تنتظر الفرصة الملائمة لتتجلى لنفسها طريق الوجود. وخلاصة القول ان معظم الكلمات في اللغة العربية ينشأ عن أصول ثلاثية (ثلاثة حروف صامتة وغير مصوتة) هي حجر الزاوية لبناء تنظيم رياضي متكامل.

إن القول بوجود بعض الأصول الرباعية في اللغة العربية قضية حامة تحتاج الى دراسة مستوعبة. لم تستثمر اللغة العربية حتى الآن الإمكانيات الكامنة والناجمة عن الأصول الثلاثية ونستطيع أن نقوم بعملية حياية بسيطة تبين لنا عدد الأصول النظرية التي قد تنشأ عن استثمار الأصول الرباعية في اللغة العربية :

$$٩١٤٠٠ = ٢٥ \times ٢٦ \times ٢٧ \times ٢٨$$

تضاف إلى هذا العدد المربع من الجذور مشتقات الرباعي ونلاحظ في هذه المناسبة ان اللغة العربية أداة طيعة وحقل تجربة ناجح للنظريات البنائية وانها لغة الأحرف التي تخضع لتنظيم رياضي قد يؤول الى لغة رمزية تفوق فيها وسائل التعبير المفاهيم التي قد يستوحىها الفكر البشري. وبين لنا من العودة الى واقع اللغة العربية ان الأصول الرباعية تتمتع بميزات تشبه تلك التي تتمتع بها الأصول الثلاثية اي حق التفرع والتوليد بموجب احدائيتين ثابتتين هما احدائية المزيادات الفعلية واحداً مشتقات الخاصة بالأسماء والصفات. وقد اكتفت اللغة العربية حتى الآن بعدد صغير من الأصول الرباعية قد جاءها من الأسماء (يرطال، برجم، خرطم) او من

كلمات اجنبية (تلفز . تلفن) أو دخلتها عن طريق أصول ثلاثية أضيف إليها حرف واحد تصديراً أو إقحاماً أو تذيلاً (قشعر . خبص . حرجم) أو نتجت عن تكرار أصل ثانٍ (ززل) وهذه هي الحالة التي تنطبق على ما يسمى الأفعال الرباعية المضاعفة .

في اللغة العربية مفردات تتألف من أكثر من أربعة أحرف غير ناتجة عن أصول ثلاثية أو رباعية وهي غير مأثولة في العربية لأن معظمها أخذت من كلمات سامية متدثرة أو من اللغات الأعجمية القديمة والأجنبية الحديثة (قشعر بلغة الروم الميزان . الاسطريق بلغة القروس النيجال الغنيظ . الأرائك بلغة الأجاش السرر : تلسيد بالعبرية تعود إلى تلسيد . صالون وبالين وغليون من القرنية ...) . تقوم البنية العربية بعسبة اقتباس وتساير اللغات الغالية في حركاتها التطورية وتسمى في هضم ما نسيه اللذخيل وتمثله . لا تعيش لغة بمعزل عن غيرها فكان من الطبيعي أن تتعرض لغة العرب لتأثر . فتشرب إليها كلمات أجنبية . تتأقلم وتتغير أبينتها وتعرّب وينشد عجبها وتحاكي الكلمات العربية الأصل . وفي هذا الأمر نفع محقق يؤدي إلى توسيع شبكة مفردات اللغة وإلى تنمية مواد حقيفاً القنبوية وهو يتيح الفرصة للباحثين لكي يعثروا على مصطلحات جديدة تدعو إليها الحاجة الأدبية وبعض متطلبات الحضارة الحديثة (كما رأي خاص في طرق وضع المصطلحات العلمية ولا نتكلم هنا إلا عن المصطلحات الحضارية) وقد اتبعت اللغة العربية في تعريب اللذخيل وجعله في بنيانها السيرة طرّاً معينة فعربت كلياً بعضه (رجل الشارع وهو تعبير انكليزي . الجندي البسيط وهو فرنسي) أو اقتبسته يجعلته قريباً من أبينتها أو محولاً عليها، بجانباً لما تألّفه العرب من أصوات وحروف وإمالات صوتية (برنامج : برنامج : بالمودة : فالودج : يشه : بنفسج : شلواد : سروال مع تغيير مكاني حرف أو أكثر وإحافضة على وزن النقطه : نبيره : بهرج : يراديس : فردوس مع تغيير حرف أو أكثر وحذف حرف أو أكثر : نشانج : نشاء مع استبدال مجموعة حروف بحرف ...) ثم أخضعت اللذخيل لأوزان عربية واشتقت منها وصرفتها (تأمرك وتأمرك : تلبن وتلبن : خندريس وخندار : صالون وصالونات . سبجارة وحبائر ...)

•

تقنية بنيانية وضع المفردات : تم عملية وضع المفردات في اللغة العربية بموجب مبدأ عام قد يصلح كقانون : كل زيادة في الأحرف تؤدي إلى

زيادة في المعنى أو يحصل الاختصاص في المعنى بفعل الزيادة في الحرف وتُحصل هذه الزيادات بواسطة تحولات داخلية صوتية بنية قوامها :

١ - الأصوات القصيرة والممدودة : يتحقق معنى الأصول الثلاثية المشتركة في أحرفها واختلفت في معناها بواسطة حركة عين مشارعها : (عرف : يعرف : يعرف . يُعرف) وتكون المشتقات العربية إما قصيرة (ضمة وفتحة وكسرة) إما ممدودة (واو ي) وهذا يمنع العربية صفة الاعتماد على كمية اطلاق الصوت لتوليد المعاني الجديدة (حكم يحاكم : حكيم يحوكم) .

٢ - تكرار الأصل جزئياً أو كلياً : إن الشدة أو التضعيف عنصر هام في عملية توليد الكلمات وبما أن الشدة تساوي أي حرف من حروف الابجدية العربية نظرية تحديد أحرف الزيادة وحصرها في (سألت منه) تنطق أمام التحليل المسحوس (مد . مر : فـ) بزيادة الدال والراء والضاد : أو بتكرار الأصل جزئياً . زلزل بزيادة الزال واللام أو بتكرار الأصل كلياً .

٣ - قلب ترتيب أحرف الأصل : إن ادخال أصل ثلاثي معين في دائرة وتقليد على وجوهه الستة يصح مبدئياً في الدراسات البنائية ولكن التعليقات المرحقة القديمة التي قيدت احرف الابجدية بتعان معينة هي من فئة النظريات المنتهكة التي علقت عليها المناهج القديمة وافترضتها من كل محتوى علمي .

٤ - ادخال احرف الزيادة (affixation) : إن حروف الزيادة التي تدخل الأصول الثلاثية خاصة بتعديراً واقحاماً أو حشوياً وتذييلاً تطور معنى الأصل وتولد كلمات جديدة فيشتق من وزن فعل أو وزن أفعال وتُفعل وتُفعل وتُفعل والمصدر (المصدر العادي والمصادر السمية ومصدر النوع والمرة) واسم التفاعل والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة وأفعال التنفيل واسم المتعول والمكان والزمان والنسبة والتصغير وجمع التكثير ...

٥ - الإلصاق (agglutination) : لجأت اللغة العربية إلى التركيب المرجحي في بعض أسماء الاعلام الأعجمية : بيت لحم وبختمصر . ولكن الإلصاق وهو من قبيل التركيب المرجحي لا يبدو كمية عربية قوية البروز وقد تأثرت اللغة العربية باللغات الأجنبية واستعملت طريقة الإلصاق كوسيلة اغناء جديدة (لامبالاة : غير موضوعي : عدم الاكتراث ...) وهذه الطريقة غير مرفوضة وإنما تبدو وكأنها على هامش هذه الدراسة البنائية .

٦ - النحت (réscopage) : إننا نذهب الى تحففة اكثر ما صنف مع الأصول الرباعية المنحوتة فقد طرأت على هذه الأصول زيادات لم ترد في (سألت منه) اي بواسطة حروف لم يعتبرها اتقداسى كأحرف زيادة شرعية وتميل اليوم الى اعتبارها كأحرف زيادة لما لا حرف الزيادة التقليدية المعروفة . لا يتناول النحت الحقيقى إلا عدداً قليلاً من المفردات القديمة نذكر منها (حيعل والحيعلة : حمل والحمدنة : عبثى وعبثى) وقد ضمير النحت في بنية بعض اللفاظ الحديثة (برماني : مدرجي اي مادي - روجي : مكرماني اي مكاني - زماني : جوقنة اي النقل الجوي لعمليات حرية معروفة الخ...) كما أن هناك كلمات سادت فيها الطرق العربية الشبعة في النحت اي الاحتفاظ بتطالع الكلمات لتسبة مؤسرات أو متالح معينة (مؤسسة الاونيسكو : مصلحة الأوتروا...).

=

الأوزان العربية : إن الوزن الحقيقى هو الذي تتطابق فيه اوضاع حروف الوزن مع حروف الفرع والذي تدخل فيه الزيادات عنبها التي تدخل الفرع في الموضع المقابل لما في الوزن وتضاف الى هذه المطابقة ايكيلة مطابقة صوتية كاملة بين الوزن والفرع .

فعل : كب : منعل : مكب : مستكيب : مستعيل .

إن عملية الوزن تخضع الى مبدأ شامل يشجلى في معظم الأوزان العربية التي تعكس عند حروف الكلمة التي نريد أن نرنها ونوعيتها وأصوات حروف هيكلها اي نجد على حروف الفرع المصوتات نفسها التي تنضم بها حروف الوزن . وتضم هذه الأوزان معظم الصيغ أو أبنة الكلمات العربية وهي تنظم المريدات والمستقات على حد سواء في وضع شمولي . اقتصادي بمعنى أن الأوزان تحول آلاف كلمات الى عدد محدود من الرموز الهيكلية والصوتية ويصبح هذا التنظيم العارم خاصة : ثنائية . أساسية : تيسر على اللغة العربية لدرجة أنها تدخل في هذا التنظيم الكلمات المستعارة من اللغات الأعجمية والأجنبية وتصبح الكلمات المعربة جزءاً لا يتجزأ من اللغة العربية فتدخل في تنظيم متاسك قوي يخضعها لخصائصه .

إن أوزان الأفعال المزيدة والأسماء والصفات المشتقة من الثلاثي السالم صالحة كأوزان تنطبق عليها مواصفات الوزن الموضوعي ثم إن الأصول الثلاثية هي المعتمدة في اللغة العربية وإن التليد يركز عليها بشكل أساسي وبالتالي إن بنية اللغة العربية التي تعتمد الأصول الثلاثية السالة خاصة

تخضع الى نظام جامع شامل لا شذوذ فيه . ولكن عملية التثقيب (gram-maticalisation) التي قام بها الصرفيون أدت إلى حصول بعض الخلل في الأوزان العربية ومن تفحص بعض بنى الأصول الثلاثة يتبين لنا ان هناك ثنائيات عوملت بوزن فعَلَّ وجعلت ثلاثية في لفظها لتدخل في نطاق التركيب المورفولوجي العربي وانها ثلث بالطرق التالية :

١ - ان ابسط أنواع طرق التثليث اتقنية هو اللجوء الى المد الصوتي الناتج عن خلاف نوعي في طبيعة المصوتات وليس عن خلاف في طبيعتها :
مد - ماد ؛ مع - ماع ؛ خر - خار ؛ فح - فاح ؛ شد - شاد .
٢ - هناك طريقة ثانية بسيطة للتثليث تقوم على تضعيف الحرف الثاني من الثنائيات والشد في اللغة العربية مركّز حام في بنائيتها : مد - مد ؛ خر - خر ؛ شد - شد .

٣ - تعتمد الطريقة الثالثة الشائعة الغالبة في التثليث على زيادة حرف على الثنائيات بغير طريقتي المد او تضعيف الحرف الثاني ولا يهنا في هذا المقام قبول نظريات معينة أو رفضها منادها أن أصل اللغة هو من أصوات الطبيعة (onomatopée) وان النظم يناسب لدليله مناسبة طبيعية وان الحرف الثالث الزائد يمثل مادة تعبيرية وينفصرها (جد - جذر ، جذع ، جذل ... قط - قطع ، قطف - قطل ، قطم ...) ولنا بحاجة لان نبحت عن معنى أحرف الزيادة المختلفة فالذي يهنا هو ما كان من الأصول الثنائية التي متى ثلث دلت أولاً على أحداث تصلح لأن تكون مركّراً لتوليد الكلمات والأبنية وأدت ثانياً الى تنظيم موضوعي تهيم عليه فكرة إقامة الوزن الصحيح وتحقيقها بواسطة وزن فعل ومشتقاته .

يتبين لنا من العودة الى الحالتين رقم ١ و ٢ اللتين وردتا في أعلاه ان معاملة ماد ومد واختامها مع وزن فعل هي من قبيل المعاملات المغلوطة وأن الوزن الصحيح لـ ماد هو فاع وليـ مد هو فع ولنا بحاجة في هذا الباب لالتماس تعليقات مرهقة قد وردت في اللغة العربية في بابي الإعلال والادغام : إن البنائية ذات حلول سليمة سهلة المأخذ وقد أسهمت في حل مشاكل عويصة قد صادفتها بعض اللغات الأجنبية (لقد حلّت مثلاً قضية تصرف الأفعال التي تصرف تصرفاً غير قياسي (irréguliers) في اللغة الفرنسية) وقد تبعد عن ذاكرة المتأدين أوزاناً مغلوطة عمل اللغويون لأقامتها كل ما أوتوا من حذقة وقد أدّى افتعالها الى دراسات عقيمة تتعلق خاصة بالمفردات التي انحدرت منها (انظر الدراسات التقليدية التي تتعلق بكلمتي ميزان ومبيع مثلاً) .

وعندما تنقص وزن فعل نجد ان معانيات الوزن تبلغ حد الشطط .
 ان فعل هذا صيغ من فعل بتكرار اللام ويعني التكرار في لغة الوزن
 ان الحرف الأخير من الصيغ التي يربها فعل يجب أن يكون مكرراً وبما
 انه قد اختلف الحرف الثالث عن الرابع في الاصول الرباعية لذا يجب ،
 تحاشياً من الوقوع في الخط . جعل الحرف الأخير في وزن فعل غير اللام
 واجاد بالتواطؤ حرف هذه الصيغة يختلف عن الحروف التي وردت في فعل
 بحيث لا يتصلح وزن فعل لقياس الاصول الرباعية من ناحية مطابقة
 أحرفه للأصل المراد وزنه ولكنه يصلح كوزن صوتي اي ان هيكله يحل
 أصواتاً تتكرر في هذا النوع من الصيغ (فعل : دحرج . علسن . زليل :
 يفعل : يدحرج . يعلسن . يزليل) .

وفي حال إقامة وزن للأصول الرباعية وذلك بواسطة حرف غير نظام
 الثانية (فعل مثلاً) نستطيع حينئذ بعد أن انطبقت مواصفات الوزن الموضوعي
 على فعل ان نخصصه للأصول الرباعية التي جاءت الى اللغة العربية عن
 طريق الاشتقاق من الاسماء (برجل . برجم . خرطم) او عن طريق التعريب
 (تلفز . تلفن) ونكتنا تقع في التلبس عندما نحاول وزن الاصول الثلاثية
 التي انتقلت الى العربية والتي اعتبرت خطأ رباعية أو وزن ما يسمى الاصول
 الرباعية المضاعفة .

١- لم يكن بعض ما يسمى رباعياً مجرداً إلا مزيداً ثلاثياً ادخلت
 عليه احرف لم ترد في (سائمينيا) وقد كان للرأي ينحتها مضاعفات على
 صعيد الوزن : كيف تجد في يزعر الذي يقال عنه من يزعر ويزع الحروف
 الأصلية التي تتطابق مع ميقاتها البنائي وكيف تكتشف الحروف التي استقطت
 من الأصول الثلاثين والتي استقبلت منها ثم كيف تزنه على فعل المفلوط
 أصلاً؟ والأصح هو ان نعبد الى تفسير لغوي صحيح وأن نعود الى ميزان
 فعل كأساس هذا النوع من الرباعيات وان نرسم الموازين البنائية بشكل
 دقيق حتى ينطبق كل حرف أصلي مع حرفه في الميزان وكل حرف زائد
 مع ما يقابله في الميزان وتعرف بعدئذ على كل حرف زائد في الأصل وفي
 ميزانه وتدخل على وزن فعل الحروف الزائدة التي تأتي تصديراً أو حشواً
 أو تذيلاً ونسجل الزيادات في مواضعها وفي المكان الذي دخلت فيه واعتاداً
 على عملنا هذا تأتي الأصول الآتية على وزن :

- خلين . كلمن . علسن . شخصن على وزن فعل ÷ ن = فعلن .

- جندل على وزن فعل اي بزيادة النون حشواً .

- بزعر ، بركل ، بزمرخ على وزن ب + فعل = بفعل .
 - دحرج ، حدرج ، حفرج على وزن فعل + ج = فعلاج .
 وتصيح هذه الأنواع من الرباعيات التي قيل عنها مجردة من مزيدات الثلاثي وذلك عملاً بمبدأ بيعج الأوزان الثلاثية وإضافة اليها أوزان غير مشكوك في أصلها الثلاثية :
 كما أنه هناك أصول رباعية اختيرت منحوتة ولا يظهر الأصلان فيها بوضوح بل يدوان متداخلين متشابكين ضائعين غير أكيدين وقد تبلورت هذه الأصول عبر التاريخ ولا حاجة للكلام بتسدها عن عملية نحت اشترتها فاسباب اكتنازها تعود الى تولد أحرف زائدة صامتة قبل حوّلها من ثلاثيات الى رباعيات ولا يتقابل فيها اي حرف في الوزن مع اي حرف آخر في الأصل ومن المستحسن حسماً لكل نزاع وزنها على قعلا .
 ٢- لا يجوز لنا أن نعالج في ما يسمى الرباعي المضاعف زلزل مثلاً الذي يتألف من تكرار ثنائيين على وزن فعلل فالثنائي يتألف من وزن فع مكرراً ويكون وزن زلزل على فعنع .

وترتب على كل ما تقدم النتائج التالية :

- ١- إن إمكانية التشديد اي تكرار كافة حروف الالينية العربية تقضي على نظرية تحديد حروف الزيادة الصوتية والصامتة في ما أسمونها .
 - ٢- إن الثنائيات التي انتقلت الى ثلاثيات بالشد والملا لا يمكن أن نرنها على فعل بل يجب ان نجد لها أوزاناً خاصة وبالتالي يجب أن نرهن مشتقاتها على أوزان يترتب عليها وضعها (علينا إعادة النظر في كل الأصل الثلاثية غير السالمة المضاعفة والمهموزة والمفتحة والنقطة الخ ... ومشتقاتها ومعالجتها على ضوء مبادئ الفونولوجيا الحديثة وإعمال باقي الاعلال والادغام اللذين قام بوضعها اللغويون ورغبة منهم في تعيد (grammaticalisation) ما استغنى من الأصول التي لم تنفخ بسهولة في فئات الأوزان التي استحدثوها .
 - ٣- إن وزن فعل السالم ومشتقاته ينطبق تمام المطابقة في تحولاته واشتقاقه مع عدد الحروف ونوعية الأصوات التي يرهن وترسم فيه الأحرف الزائدة في مواضع تناسب المواضع التي ارتست فيها في الوزن ويناسب كل حرف حرفه في الميزان مع الحركة الملائمة :
- فعل : ضرب : أفعل : أضرب : إنفعل : إنكسر : تفاعل : تقاقل :
 استعمل : استغفر : إفعول : إخفضر : منعول : متقول : مستعمل : مستجد .

٤- يلاقي وزن فعال عدداً كبيراً من التحفظات وهو لا يصلح بشكله
اخضر لقياس الأصول الرباعية خاصة ومشتقاتها عامة.

•

ليست الغاية من هذه الدراسة بيع مفهوم الوزن ووضع أوزان عربية
قد تنطبق على عدد قليل من الكلمات بل التعمد توضيح الخطأ الكامن في
بعض الأوزان ونقش نظريات القياس عليها خاصة وإن إعمال الآلة في
اللغة بحاجة إلى تصحيح الوزن حيث حقه خطأ وقد يتعدى الأمر هذا
الشكل في الآلات الالكترونية (Computeurs et Ordinateurs) ويتجاوز
إلى قضية وضع أوزان أو على الأقل نماذج (prototypes) تتفق مع واقع
اللغة العربية. ورغم دخول الآلة إلى عالمنا الحديث هناك من تمسكوا بالأوزان
التقليدية وشخصوها وأخوها في غير تامح ووقتها وقفة طيلة عندها فجذبهم
ببرجها وأنشيم مبادئ المنطق السليم وقد رأينا لزماً علينا أن نعود إلى القياس
اللغوي الصحيح بأن نعيده إلى طريق الصواب لكي يستقيم الوزن ويتجسم
أصنام جوفاء ويستتب أوزان صحيحة تصلح لتساخيس مستقيمة.

المراجع

- N. CHOMSKY, *Syntactic Structures*, La Haye, 1957.
H. FLEISCH, *L'arabe classique, esquisse d'une structure linguistique*, Bey-
routh, n.éd. 1968.
C. PELLAT, *Introduction à l'arabe moderne*, Paris. 1950.
E. SAPIR, *Le langage*, Paris, 1967.
F. DE SAUSSURE, *Cours de linguistique générale* (publié par C. Bally et
A. Séchehaye), Genève, 1916.
N.S. TROUBETZKOY, *Principes de phonologie*, Paris, 1949.